



مدى

من زمن التوجه



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون
www.almadasupplements.com

"21 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير



العدد (5743) السنة الثانية والعشرون
الخميس (5) أيلول 2024

طالب القره غولي

طالب القره غولي.. الوداع الأخير

باسم الخياط

الحديث من هنا يبدأ بالمرحلة الأولى للفنان الكبير المبدع طالب القره غولي. ولد في مدينة الناصرية عام ١٩٣٩ وكانت رحلته بعد مجيئه الى بغداد عام ١٩٦٨ حيث التحق بالإذاعة والتلفزيون ليمارس عمله ملحنًا وقدم للإذاعة والتلفزيون أغنيته المشهورة التي اداها بنفسه عام ١٩٧١ (يا خوخ يا زردالي). ثم شق طريقه نحو التلحين، فنجح نجاحاً باهراً في وسط نجوم الخمسينيات الكبار أمثال رضا علي وعباس جميل ويحيى حمدي واحمد خليل ووديع خوند، فضلاً عن جيله كوكب حمزة وكمال السيد ومحسن فرحان وغيرهم ممن ابدعوا بألحان الاغنية العراقية والبغدادية على وجه الخصوص.

تعامل طالب القره غولي مع عشرات المطربين

سواء ان كانوا من العراق او من العرب، والحقيقة كان المطرب القريب منه وله رصيد كبير له من ألحانه هو المطرب ياس خضر، حيث لحن له في بداية السبعينيات (البنفسج) و(جذاب) و(روحي) و(اعزاز) و(انحبكم والله انحبكم) و(ولو تزعل) و(تايبين)، وكثيراً من الاغاني التي هي عالقة بأذهان الناس حتى الآن. كما لحن لفاضل عواد عام ١٩٧٢ اغنية (اتنه) (اتنه) ثم (حاسينك)، كما لحن لفؤاد سالم (العجب يا شوك العجب بيته)، ولسعدون جابر (حسابي عدينا الوفا)، ولحميد منصور (يم داركم)، ولرضا الخياط (تكبر فرحتي بعيني)، ثم غناها هو بنفسه، ولحن لمائدة نزهت.

وابدع طالب القرغولي بألحانه لمطربين عرب من المشاهير هم وردة الجزائرية وسوزان عطية. حظيت ايضا الفنانة والمطربة اللبنانية سعاد محمد بألحانه بقصيدة (وطني مازال في ايمانه) ١٩٨٢، ووديع الصافي وكثيرون.

والحقيقة هناك حدث كبير في مكانته الفنية حيث سافر عام ١٩٨٦ ضمن وفد فني

موسيقي الى القاهرة، والتقى الموسيقار محمد عبدالوهاب، وكانت اذاعة صوت العرب من القاهرة قد بثت هذا اللقاء عبر قنواتها، وطالب كان صديقاً حميماً للموسيقار بليغ حمدي وتربط به علاقة كبيرة، واتصالهما كان قائماً حتى وفاة بليغ عام ١٩٩٢.

تعامل طالب مع شعراء كبار أمثال مظفر النواب وزامل سعيد فتاح وناظم السماوي وخضير الخزاعي.

أما من ألحانه لنفسه فهناك اغنية غناها في السبعينيات (ها ذاته، وهناك انت).

وطالب القره غولي الملقب بـ(أبي شوقي) متزوج، وله ولد (شوقي) و٤ بنات، ثم تزوج من الفنانة القديمة غزوة الخالدي في بداية السبعينيات، وبعدها تزوج من الفنان والمخرجة فيما بعد التفات عزيز.

عاش طالب القره غولي سنين الغربية في عدة دول عربية وخليجية امتدت ما بين العمل والتلحين، سجل اغاني كثيرة، ولحن لمطربين خليجيين أمثال عبدالله رويشد وغيره، ولكن

المحنة الأخيرة لسفره هي في السويد التي منحته جنسيتها.

عانى كثيراً من متاعب الغربية، ولاقى صعوبات بمواجهة المرض القاسي ومعاناة مرض السكري، الذي ادى في النهاية لبتر ساقه هناك. ومنذ ذلك الحين لم تتحسن صحته، فقرر العودة الى بلده الأم، وعلى وجه التحديد مدينته الناصرية. ويبدو انه شعر بأنها ايامه الاخيرة، وأراد ان يقضيها بين اهله وناسه الذين احبهم وعاش طفولته بينهم.

تدهورت حالته الصحية فنقل الى مستشفى الناصرية العام، وتوفي يوم الخميس الموافق ١٦ / ٥ / ٢٠١٣، وشيعه ليفيف كبير من ابناء المحافظة وعدد من الفنانين، ونعنته بقنوات فضائية عديدة، واعطت نبذة عن حياته.

رحمك الله يا فناننا الكبير.. ستبقى ألحانك ارقاً فنياً ورصيماً ابداعاً به كل مطربي السبعينيات، ورمزاً خالداً للأغنية العراقية.. من (البنفسج) الى (اعزاز)، و(حاسينك) مثل رمش عيونه بعشرتك لين).



طالب القره غولي: رحيل القيثارة السومرية

حسام السراي

ابن الناصرية الذي أتى ليخترق الأسوار التقليدية للفن العراقي بألحان أخاذة ومبتكرة، كانت تجتذب كل من يسمعه، فهو الشاب الذي أتى ليغير من نمطية اللحن العراقي، يوم تضافرت مع ظهوره عوامل أخرى، في مقدمتها أنه جاء من مدينة مبدعة أعطت للبلاد الكثير من الرموز ومنحته في الوقت نفسه ثقة استثنائية بذاته، منذ أن كان صبياً يسحر شيوخ قريته (الغارية) بعزفه على الناي، ومعها أيضاً كانت الساحة علي موعد مع بروز أصوات متميزة شكلت محطة جديدة في تاريخ الغناء العراقي، حيث فاضل عواد، وسعدون جابر، وياس خضر، وحسين نعمة، ورياض أحمد، وصالح عبدالغفور، وقبلهم بالطبع قائمة طويلة من الرواد. إضافة إلى ذلك، لم يكن لهذه الحناجر أن تصدح بجواهر بقيت راسخة وخالدة إلى يومنا في أذهان العراقيين، لولا وجود كلمات مكتوبة بحس لم يستسهل اللهجة العامية العراقية

وبنهج واع في تحديث قصائد الشعر الشعبي، ليس مثلما يحصل اليوم، حيث أي كلام يمكن له في عراق ٢٠١٣ أن يصبح أغنية "قلب قلب وين وين غايب عليه يومين، لتغيب أكثر حبيبي أخاف أموت من الحنين!!". كانت حلقة الابداع تلك تكتمل مع قصائد مظفر النواب، زامل سعيد فتاح، طارق حسين، عدنان عيدان.

مميزة ألحان القره غولي ضمن ظاهرة لحنية أعم شملت كوكب حمزة ومحمد جواد أموري وكمال السيد، هي استيعاب الوجود العراقي الطافح بالحزن، واضاءة الانتماءات التي يحفل بها النص الشعري وجعلها حيزاً للارتقاء بالأغنية ككل، ضمن صعود وهبوط موسيقي يأخذ المتلقي الى مآهات جمالية مشبعة بروح متطلعة مثلها عقد السبعينات العراقي، لنتنبه هنا إلى توصيفه لاشتغالاته في التلحين من بين اجاباته في حوار صحافي:

الأغنية العراقية آنذاك لم تكن مشجعة لأن اسمعها إذ كانت عبارة عن ملتون واحد، والكلام ليس سوى نيمة بسيطة تشبه (الردة) تتكرر في كل مقطع موسيقي، وهي تنفتح الى الابتكار بعكس بعض الأغاني أو البسنات المشتقة من المقامات

العراقية، ومن باب الثقة بالنفس كنت أعد نفسي معنياً بال تجديد والابتكار. لذلك فقد كانت الأغاني الأولى طويلة، لأنني متأثر بالمحنيين المصريين وأفهم طرائق التلحين لديهم، وحينما بدأت التلحين من خلال المعرفة الذاتية، وخلقية ثقافية... هكذا فقد توجت الأغنية العراقية بمقدمة موسيقية، ولكل كويليه لحن خاص به، ومقدمة موسيقية أيضاً.. لتكون الأغنية غنية بالموسيقى. في السبعينيات..

كان ذلك قبل أن يأتي أو أن حزر الرقاب بوصول صدام الى السلطة وبلوغ البلاد مرحلة اقفال الأبواب بوجه التعدد السياسي والثقافي، وكانت الأقدار أن يختار القره غولي البقاء في الداخل، وهو العارف بخطورة هذا الخيار وفداحته على مستوى تقديم التنازلات لسلطة هوجاء لا ترحم.

وهو يقدم للغناء العراقي أرقى الألحان وأنضجها، ظل يبحث عن الشعر الذي يكمل معادلة الابداع عنده، فكانت "حاسينك"، "كذاب"، "تكبر فرحتي"، "اتنه اتنه"، "روحي"، "البنفسج"، "أنة وأنت"، "هذا أنه وهذا أنت"، "راجعين"، "عزاز"، "تايبين"، "أنه من حببت"، "حنيت الك بالعلم"،

"ياحبيبي"، "يا طير الشوق"، "وداعاً يا حزن"، "تعال لحبك"، "يا روجي جذاب الهوى".

يحصل بعد العام ٢٠٠٥ أن يغادر العراق صوب سوريا، ويقدم في دمشق تحديداً، رأيت هناك مرتين، مرة في بيت الصديق الشاعر رياض النعماني، يوم كان يلحن لياس خضر افتتاحية مهرجان المدى التي يقول مطلع القصيدة للنعماني عن الشاعر الكبير الجواهري "هو الذي رأى زمن البلاد إلي بيجي (يأتي) وشاف (رأى) إلي ما ينشاف.. هو إلي قره (قرأ) الغيب بمهجة العراف"، وثانية في مبنى تجديد الإقامة في حي البرامكة بالشام العام ٢٠٠٧.

تمر الأيام ويسافر القره غولي (أبو شوقي) صوب العاصمة السويدية استوكهولم، التي قصدتها لإحياء حفل فني ساهر، هناك تعرض إلى أزمة صحية بفعل مرض السكر الذي لم يكن أمامه إلا أن يتم بتر ساقه اليمنى، وقبل عام تحديداً قرر العودة إلى العراق، وإلى مدينة النشأة والذكريات، لتستقبله الناصرية وقبلها بغداد، في احتفالات ثلاث الأول أقيم في قاعة الرباط ببغداد برعاية دائرة الفنون الموسيقية، والفناني في منتدى الناصرية للابداع، والثالث في ملتقى الخميس الابداعي باتحاد الأدباء.

الاندماج الروحي بين ثلاثي الإبداع سعدون جابر وطالب القره غولي وبدر شاكر السياب في أغنية (غريب على الخليج)

تحسين عباس



النغم الى الهزّام على درجة الـ (مي كار) فتوحى الجملة النغمية الى ثبات القرار لأن هذا النغم -الهزّام- كثيراً ما يستخدم في الأهازيج والافتخار فهو بالتالي ناتج من الثبات في القرار، فلا مكان يحتوي الشاعر سوى بلده ولا لذة بقاء الحبيب الا في بلده العراق (الملتقى بك والعراق على يدي.. هو اللقاء) فيختتم المقطع بعودة الى نغم الحجاز مُعلّقاً اياه على درجة التحريم الـ (دو) وليس على درجة الاستقرار الـ (صول) لتلغى صرخة السياب مدوية (ليس سوى عراق) بعد جملته المشهورة (الشمس أجمل في بلادى من سواها، والظلام حتى الظلام - هناك أجمل، فهو يحتضن العراق).

(أحببت فيك عراق روجي أو حبيبك أنت فيه يا أنتما - مصباح روجي أنتما - وأنى المساء والليل أطبق، فلتشعاً في نجاه فلا أتبه لو جئت في البلد الغريب إلي ما كمل اللقاء الملتقى بك والعراق على يدي.. هو اللقاء الشمس أجمل في بلادى من سواها، والظلام حتى الظلام - هناك أجمل، فهو يحتضن العراق ليس سوى عراق).

الغناء: حقيقة وأنا أسمع صوت الكبير سعدون جابر كنت أعيش مع معاناة السياب فقد استطاع المطرب مع ما قرره له للحن (التنغيم) أن يصل بنا الى فحوى ما كان يكابده الشاعر من ألم الفراق ووجع المرض المعضل آنذاك، فكانت السمة الظاهرة من الصوت هو الحنين المزوج بكل هذه الأهتات، وهذا ما جسده الأداء الرائع للانتقالات النغمية والإيقاعية التي وضعها الفنان الكبير طالب القرغلي.

التوزيع: لعبت الكمانات دوراً جميلاً في السؤال والجواب الموسيقي بينها وبين الكورديون كما تخللت لسوازم الموسيقى ضربات النقر على أوتار الكمان (البري كاتو) واشترك الساكسفون في الغالت الغنائي لتعظيم ما يحمله موضوع القصيدة، هذا وما يمكن الإشادة له هو تنسيق صوت المطرب مع الموسيقى بشكل ملفت للنظر لأن صوت المطرب من الأصوات الناعمة التي تحتاج الى هندسة خاصة للصوت.

عن صحيفة القدس العربي

قصيرة على نفس النغم لكن على ايقاع الملقوف (٤/٢) وبتنغيم مختلف عما هو في المقطع الأول، ليوحى الغناء في لحنه للمستمع باستمرار الحنين الملتفح بالأهتات، فيدخل الغناء كي يثير الذاكرة التي رسمتها معاني الشعر في هذا المقطع، حيث يتقلب الانتماء على أسيرة الشوق بين الوطن الذي لا يحصره المكان لأنه في الوجدان وبين الحبيبية، وهنا الحبيبية قد تكون كل امرأة مرت في ذاكرة السياب وهذا ما حاول ايصاله مخرج المسلسل حيث أظهر لقطات من الذاكرة مع عدة نساء، فكان نداءه للمفرد المؤنث بالعموم؛ وبعد جملة الاستفهام (أفتذكرين؟ أتذكرين؟) يتحول النغم من الحجاز الى البيات من نفس الدرجة بجملة نغمية توحى باستحصال السعادة عند الاستذكار.

(بالأمس حين مررت بالمقهى، سمعتك يا عراق وكنت دورة أسطوانة هي دورة الأفلاك من عمري، تكور لي زمانه في لحظتين من الزمان، وإن تكن فقدت مكانه أفتذكرين؟ أتذكرين؟

سعداء كنا قانعين.

وبعد هذا المقطع يأتي المقطع الأخير الذي يحتضن كل مشاعر السياب فيترجمها التنغيم بأبهى صورة يمكن لها أن تدرك معاني الانتماء التي أسسها الشاعر في القصيدة، فترجع الموسيقى بجملة قصيرة الى نغم الحجاز ليبتدئ الغناء بنفس النغم فيطوف بين حب الوطن والحبيبية - الأم، المرأة - ففي هذا الشطر من المقطع تختلط كل معاني الحب فهو نداء للوطن وللحبيبية معاً يسير مع أمواج نغم الحجاز (أحببت فيك عراق روجي أو حبيبك أنت فيه) على ايقاع المقسوم ٤/٢ (يا أنتما مصباح روجي) على ايقاع الوحدة الكبيرة (٤/٤) ونغم الحجاز ثم يكرر (يا أنتما مصباح روجي) بأهتات نغم الصبا من نفس الدرجة وبوزن الوحدة الكبيرة أيضاً، ثم يرجع الى وزن المقسوم (٤/٢) في (وأنى المساء والليل أطبق، فلتشعاً في نجاه فلا أتبه)، ويعود التنغيم في الشطر الرابع الى نغم الحجاز (لو جئت في البلد الغريب إلي ما كمل اللقاء) ثم تأتي لازمة موسيقية قصيرة ليتحول

الغنائي كان مقام الحجاز كار وفي المقطع الأول مقام الحجاز واستمر الحجاز متسيداً في البناء الرئيسي بالرغم من دخول مقام البيات والصبا عليه ومسحة من الهزّام، والسبب واضح لأن قوام ما تم اختياره من مقاطع شعرية كانت تدور معانيها حول الغربية والحيرة والفقدان وشدة الشوق والحرمان، فكل ما ذكرته هو عوامل مثيرة للحنن فكيف اذا اجتمعت في حال واحد ويصاحبها الشعور بالمرض المعضل آنذاك، فهنا كان تسيد نغم الحجاز، للجمع ما بين كل ما ذكرناه من معاناة وهندسة التنغيم، وهنا تمكن فلسفة البناء الموسيقي للأغنية.

التنغيم (الحنن): لم تكن هناك مقدمة موسيقية لهذا العمل، فقد يكون السبب، لأن قصائد السياب المغناة في مسلسل السياب هي عبارة عن سيرة ذاتية للشاعر مع كونها عملاً فنياً فلم تكن هناك ضرورة ملحة لوجود مقدمة موسيقية، فابتدأ التنغيم بمقدمة على شكل فالت غنائي، وقد اختيرت الأصوات الجماعية (الكورس) لأن الشاعر يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب ليكون هو، حديث الناس الذي تلهج به:

(جلس الغريب، يسرح البصر المحير في الخليج ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من تنغيم)

- صوت تفجر في قرارة نفسي التكلي: عراق فجاعت هنا الأصوات الجماعية لتمثل ما تقوله الناس عن هذا الغريب وتحكي عن حاله الذي يعيشه بين الغربية والحيرة، ولهذا جاء نغم (الحجاز كار) في مقطع الفالت الغنائي مطابقاً للمعنى الشعري، وبعد انتهاء الفالت الغنائي تبدأ مقدمة موسيقية قصيرة من نغم الحجاز على درجة الـ (صول) للتهديد

للغناء المنفرد:

(كالمند يصعد، كالسحابية، كالمسوح الى العيون.. الريح تصرخ بي عراق.. والموج يعول بي عراق، عراق، ليس سوى عراق).

فيمتزج هنا الشوق والحنين بالحنن بموج نغم الحجاز الذي دائماً ما يجزنا الموروث الشعبي اليه (دلولو يولد بيني دللوه...)، التهويدة المعروفة على لسان الأم حين تهود ابنها لينام بسلام. يأتي المقطع الثاني مسبوقاً بقطوعة موسيقية

في الوقت الذي يتعثر حب الوطن على أرسفة دعاة الوطنية والشرف لكثرة من ينادي، يا وطني، يا عراق... يختالك الاحتمال بين حسن الظن وسوء الظن، فلا تجد بداً إلا أن ترتمي على سواحل قصائد (السياب)، وهذا ما دعاني لتقصي هذه القصائد وبالأخص المغناة منها، فوجدت قصيدته (غريب على الخليج) خير مثال يعكس الحال آنذاك ويفصح عن معنى التجرد في حب الوطن، والعلاقة الدائرة ما بين مثلث الشعر (الوطن، الأم، الحبيب) فتقع الأم هنا مصدر الحنان الأول الذي يتغذى منه الشاعر وهو الحلقة الرابطة بين الوطن والحبيبية، وقد ورد نكر الأم في هذه القصيدة بشطرين فقط (هي وجه أمي في الظلام وصوتها، يتزلقان مع الرؤى حتى أنام) وقد حذف الشطران من القصيدة المغناة واكتفى الإخراج بوجود لقطات معبرة في ذاكرة السياب عن أمه، فأحياناً تحذف مقاطع من القصيدة بحسب رؤية الملحن أو المطرب أو كليهما، وهناك مقاطع تتحدث عن امرأة غائبة تصلح في المعنى لسأم والحبيبية أو كليهما، فنحن رأينا الشاعر ركز على العلاقة القوية ما بين المرأة والوطن، فالحب بلا وطن، لا يمنح العناق الروحي والوصل والكف الدافئ، والوطن الذي يخلو من الحب، هو مكان مظلم لا نور فيه، فالمرأة والوطن هما: دليل الشاعر حين تحيطه الطرق الوعرة والملمات الصعبة والمحبطات، الفقر الطويل المهلك، الحرمان من حنان الأم، النشاط السياسي المعتثر، الشكل غير الجذاب، مرض العضال الذي حجبته عن العمل، كل هذه الضغوطات النفسية شكلت حافزاً مهماً في جعله شاعراً عاطفياً رقيقاً مترقلاً، فالنص الذي بين أعيننا، كشف عن معاناة الشاعر الطويلة في الاعتراب بالرغم من أنه في دولة شقيقة، فاللقاء بالحبيبية لا يخلو الا في أحضان الوطن، وأي لقاء بفتاة فانتة بعيداً عن ربوع الوطن العزيز، سيكون لقاءً عديم للذة لا جدوى فيه؛ وقد كتبت مقالات نقدية كثيرة في هذه القصيدة وتم فيها تناول أبعاداً اجتماعية وسياسية ونفسية، والجدير بالذكر، أن هذه القصيدة قد غناها أكثر من مطرب وبمختلف الألسان والتنغيمات الجميلة لكني في قراءتي هذه، أخترت ما غناه المطرب الكبير سعدون جابر ولحنه الفنان الراحل طالب القرغلي لأنني وجدت أن الملحن الكبير طالب القرغلي كان الأقرب من غيره في الوصول الى ألام (السياب) ومعاناته، فالمستمع يشعر بأن الشاعر والملحن مندمجان في معنى الاعتراب وصراع المرض، فلم أعمد في اختياري على التقنية التنغيمية (التكنيك) لأن هناك من كانت تقنية تنغيمية أعلى من هذه الأغنية من حيث كثرة الانتقالات النغمية وتنوع الإيقاعات لكنه لم يستطع أخذ المستمع الى مدارات (السياب) العاطفية، فلعل (القرغلي) استلهم في النص بساطة الإنسان العاشق وصدق مشاعره وهول الأمله، وغيب عن نفسه عظمة شخصية (السياب) الشعرية لكي يقترب أكثر من المعنى المنشود بلا تكلف.

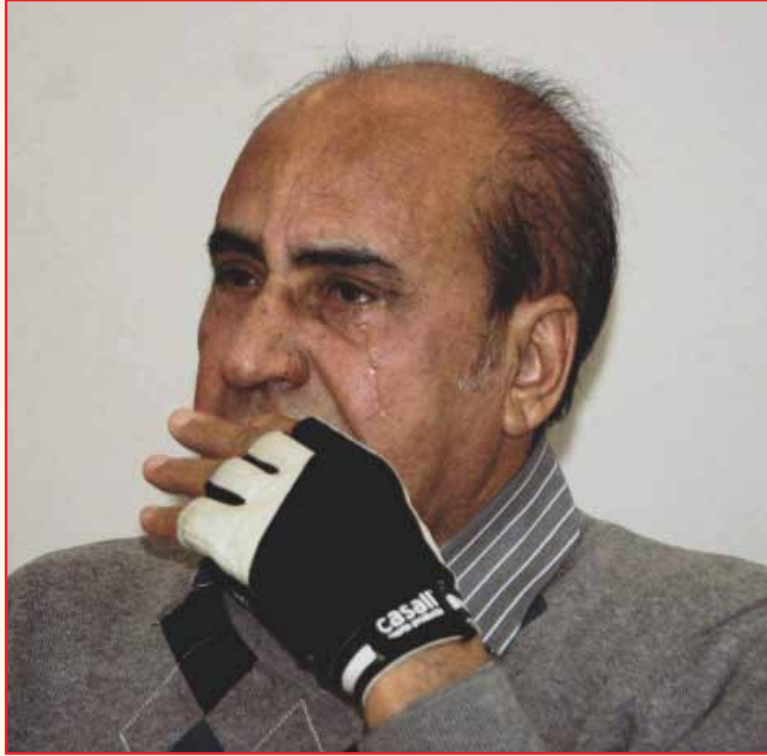
فعلى مائدة بدر شاكر السياب نقرش معكم أنغام طالب القرغلي وصوت سعدون جابر في أغنية (غريب على الخليج).

الفكرة: اختيار الفنان الكبير طالب القرغلي لكل مقطع شعري ما يناسبه من تنغيم، ففي الفالت

طالب القره غولي.. يعود إلى الغازية وحيدا



د. جمال العتابي



(الغازية) قرية أثرية لا تبعد عن الغراف، إنها متشبثة فيه، بأشجار الصفصاف وأزهار الدفلى، وعروق حبات السعد، لا تبعد عن التاريخ، فأثار سومر، تحيط بها، وتلال لكش على مقربة منها، تبدو كغيوم باهتة تطل عليها من جهة الشرق، ونخيل (قراغول) من بستان الحاج شكيان، تنحني على الضفة اليسرى من النهر مثل شعر فتاة معطر بالحناء، والطين خاوة.

الغراف لا يبدو حاد المزاج، يجري بهدوء، يحفل بالقوارب القادمة من الجنوب تحمل التمر المطبوخ، والحبوب، الإنسان يتحدى التيار، يصعد نحو الشمال بصلاية ذراعه وصبره، انه مثل اللقوة المتدفقة في الأنهار على مر العصور. طالب القره غولي يعود لهذا المنبت.. إلى الجذور تلك وهو مشدودا إليها.. لم يغادرها.. حاضرة في عقله ووجدانه وقلبه، بعد رحيل عنها لعشرات السنين. بعودته كليلًا، وحيدًا..

يحيلني طالب لتذكر أيام طفولتي الأولى، فأشاركه الشعور بالحزن إلى تلك الضفاف المنبسطة، أمام مدرسة البنات التي شغلت بناية قديمة لماكنة الطحين، إنها المرة الأولى التي يتدافع فيها الآباء يتسابقون لتسجيل بناتهم في المدرسة، يتعلم القراءة الخلدونية على يد معلم، وضع أهالي الغازية ثققتهم فيه، ليرعى بناتهم اللواتي أصبحت صبايا ناضجات، يعلمهن أولى الحروف، ودرس الحساب والواجبات الأخلاقية، والأشياء والصحة والرسم والرياضة، انه المعلم، والمدير والمربي بأن واحد.. لا شك إن ذاكرة أبناء المدينة تخترن لهذا الطراز من المربين أثرهم الإيجابي في تربية الأبناء، وأنا واحد من هؤلاء الأبناء الذين يفخرون بهذا المعلم الذي كان والدي.

في الشارع المحاذي لمدرسة البنات، في بيت طيني منه، يتسلسل طالب بن بريح (القره غولي فيما بعد) وقت الأصيل نحو تلك الضفاف، مخفيا نايه، (ألته الموسيقية الوحيدة) تحت ثيابه، في وقت تخلو الشوارع المتربة من المارة، إلا من كلاب تعوي، وفوانيس شاحبة معلقة على جدران متآكلة بفعل الريح والطر، جدران أدركت قهرها منذ زمن بعيد.. يحيط بطالب ثلة من أصدقائه.. ليبدأ الأنين بعزف على الناي فيأتي الصوت مثل مطر ناعم.. يتنقل مثل الزهر، غير أنه لإلغناء صديق يطلق صوته بغناء جذل لحضيري أبو عزيز أو داخل حسن.. فليتحتم الزمان بالمكان، وتغدو الحياة في نظر أي منا أجمل وأمتع، وهو يمارس دور الساحر.

شيوخ المدينة، يراقبون طالب بحذر وإمتاع.. لكنهم يخفون إعجابهم بهذا الغريد الشاب. ويتهامسون الحديث في مقهيين وحيدين لمحمد الدهوش ومحمد الجودة. إن طالب لا عمل له سوى (التموصل).. نسبة إلى (الماصول) وهي تسمية محلية للناي.. لكن لم يدر بخلدهم ذات مرة إن هذا (الموصل)، كان يوقد في ذاته مسارج الحانة، من عالم هؤلاء، عالمه هو، بيتنه، ومحيطه وأحلامه.. ولو كان بمقدورهم أن ينتبهوا لموهبته... لكان لهم كلام آخر..

لقد أخذت الغازية منه، والناصرية فيما بعد، مقاما حميما في تجربته إلى درجة الهوس، لارتباط الحميمية بعالم القرية (مائها، أهلها، وداعتها، بيوتها، الوافدين لها من القرى المجاورة).. إذ تمثل فيها الدف والنقاء والألفة والعطاء والمحبة، وكل ما هو أصيل ورائع.

العراقية، ويلتقط لمحات من موروث الغناء العربي الكلاسيكي، وغناء الجنوب الريفي، والمقام العراقي. لم يدرس طالب ذلك في معهد موسيقي متخصص، ولم يتعلم الموسيقى على يد معلم في مدرسة، فالغازية، ليس سوى الابتدائية فيها. التي تخرج منها، هو، وعزيز السيد جاسم، وكاظم ظاهر، ومحسن الموسوي، والأشقاء محمد، وعباس الغرابي، وكاتب السطور.

فانتقل إلى الناصرية تلميذا في دار المعلمين الابتدائية، ليخرج معلما للأولاد.. والناصرية موئل المبدعين، عالم آخر.. مدينة كالنجمه تتلألأ في سماء الخمسينات، مكاتب، مسارج، سينمات، شعر، قصة، تظاهرات احتجاج، موسيقى غناء، أسواق.. أحزاب...

تأثر طالب بهذه الأجواء، وهو القروي القادم من الغازية، فأخذت منه مأخذًا، لكنها عمقت وعيه، وصقلت تجربته. ودرت مهارته. فاجتهد وثابر. مندجما بهذا الوسيط. ومنسجما ومؤثرا فيه.. فانطلق نحو الأفاق الواسعة، ولا نهائيات الزمان، شايًا ياقعا يحمل كل مقومات الطموح والقدرة على الاكتشاف والتجاوز..

فمنذ (ياخوخ يازردالي) بدأ العصف اللحني واقتحام التقليد، وكسر الجمود، تفجير الطاقات الصوتية في حناجر لم تعرف الغناء والموسيقى، كسر الجمود والرتابة...

هذا الالتقاط للجمال والمعنى والأبعاد، الاكتشاف الاول بحق أين تكمن اسراره...؟ انه السؤال الذي يدعوني الى تتبع سبل الإجابة المقتعة عليه. لذا ساعدت الى البداية الاولى في انفلات الاغنية العراقية من نمطها التقليدي في اغنية (لاخبر) بصوت فاضل عواد. والحنان المرجوم حسين السعدي والمعاصرون لتلك الحقبة نهاية ستينات القرن الماضي. يتذكرون جيدا.. ان اذاعة بغداد كانت تكرر بث الاغنية عشرات المرات يوميا لايقاعها السريع والجميل، وكلماتها البسيطة، فتحولت الى اغنية شاعر يسلمها الملايين من الناس.. واكاد اقول وبلا مبالغة ان اغنية (لاخبر) احتلت الصدارة في تاريخ الاغنية العراقية الاكثر انتشارا وقبولاً في الذائقة الغنائية للعراقيين.. كما انها وضعت مؤديها فاضل عواد امام مسؤولية فنية

خطيرة لعمل غنائي يليها...

كيف السبيل ان.. ومن يستطيع من الملحنين ان يمنح عواد هذا الاستمرار في التألق وعدم الهبوط، والحفاظ على الجماهيرية التي ينبغي عدم التفريط بها باغنية لا تتراجع الى الوراء...

فكانت (اتنه، اتنه) التي صاغ الحانها طالب القره غولي خلاصا لهذا المازق (العوادي) جاءت امتدادا وتاصيلا للنجاح الذي حققه فاضل. لينطلق بتجربته وهو اكثر ثباتا وثقة بمنهج الغنائي المتميز. من اين لك ياطالب هذا التدفق... اعود لسؤال الذي اسلفت

لابد لي وانا احاول الاجابة على هذا السؤال.. ان اخوض البحث في مصادر الابداع التي تشكل موهبة الانسان.. واتخصص ماتتقالقة النظريات في هذا المجال.. للوصول الى اسرار هذا الالهام والكشف عن مكوناته: اذ يقول د. قاسم حسين صالح في كتاب الابداع وتذوق الجمال: ان مكونات الابداع تعود الى اربعة مصادر هي (الحدس، التفكير، الحس، المشاعر وعلى اساس هذا النموذج تصنف خصائص المبدعين في اربعة فئات. فأين

نضع طالب القره غولي من بين هذه الفئات؟ استطيع القول وفق هذا المنظور ان طالب موجود في كل تلك التصنيفات... واكاد ان اجزم بالقول ان العنصر الرابع (المشاعر)، هو الاكثر التصاقا بتجربة طالب ونعني به التآثر الانفعالي، والتعبير التلقائي عن العواطف، الوعي الداخلي والسعي نحو تحقيق الذات... دون ان نقلل من تأثير العناصر الاخرى في الاهمية.. وصولا الى مرحلة الاشراف، التي تبوأها طالب في اعماله الخالدة بدءاً: من جذاب مرورا بالناصرية، ليل البنفسج، كالولي، اعزاز... وعشرات الدرر واللالى اللحنية. (الاشراف)، ويسمى الالهام او التبصر، اذ تفيد الدراسات التي اجريت عنها، انها كانت مدهشة حتى لاصحابها، انها كوميضة برق مفاجئة (الابداع ص ٣٤). هكذا يخيل الي ان القره غولي وهو يصوغ الحان.. انما هو يعيش حالات التجلي والتوحد، التي تنمو في دوخه فقيض، ويستعيد موروثه وتاريخه، سعادة الانسان السومري وبؤسه. حزن الصبايا والامهات آنين موجه على مر الزمان لانهايات له.. ادراك للوجود بكل مكوناته، وبحث عن موقع في العالم يستطيع ان تؤكد الفته وعذوبته في موسيقى مثل الشيع اتصل بالاعماق... بوح صادق تتفقر امامه القيود.. التي اوثقت الانسان عصورا طويلة بالرتابة والجمود...

طالب لايقوننا في اعماله الى المجهول، فله مفرداته الفنية الخاصة، وجملته اللحنية التي يستخدمها في التعبير عن رؤياه الفنية. هي عملية تركيب وتشكيل لأرق النقاط الالامعة في النص الغنائي، والكلمة، وفرها له صديق عمره المرجوم الشاعر زامل سعيد فتاح. الذي لم يفعل شيئاً سوى الشعر. واجمل ما في طالب حين يشارك زامل لتلك العذوبة بصوته العابر كالشراع يتمايل تحت مساقط الضوء والظلال.. نحو ارض فسيحة وخيال مكتنز بالمعاني والرموز.. يصدح في فضاءات وجودنا..

هاهي سفينة طالب ترحل من جديد صوب الغازية، اشرعها ترشح حزنا، بعد رحلة دائبة عن الفرح والاشواق والعذابات والاحلام، للبحث عن تلك الينابيع الاولى، الدنيوات المفعمة بالدعة والاناشيد... يعيد ترديد اغنية مظفر النواب (حسن وأنه حن ونحبس الونه ونمنحن مرخوص بس كت الدمع.. شرط الدمع يجوي الجفن) لكن حروف الاغنية تحت ظلال الغراف.. تتجمد..

هنا يعيش عالم طالب القره غولي. * الغازية: النصر حاليا، ناحية في محافظة ذي قار.

ليل البنفسج طالب القره غولي



سالم حسين الامير

والتي تقتصر على من ابداع وجاء بشيء جديد لم يسبقه احد بذلك المجال.

تعرفت على طالب في او اخر الستينيات، حيث دخل الاستوديو لتسجيل اول لحن للاذاعة وكنت انا جالساً في غرفة رئيس قسم الموسيقى بالوكالة ومهندس الصوت في الاذاعة السيد عبد الوهاب العزواي لمعرفته وخبرته بالمقام العراقي وقد سجل هذا اللحن بصوت احد العاملين في القسم الموسيقي للاذاعة والذي كان يمتلك صوتاً حسناً، واحب ان يسجل هذا اللحن باسم فني مستعار كان الاسم الحقيقي (بلاس) ولكن للاسف فقد غرّب عن بالي الان اسمه الفني، وعندما احضروا التسجيلين الاول بصوت الملحن السيد طالب والثاني بصوت المغني بلاس كان اداء طالب يعطيك الصورة الكاملة للشعر وكأنك مع الشاعر الكبير الغنائي الراحل زامل سعيد فتاح بينما اداء المطرب بلاس كان جميلاً بصوته لكنه بعيد عن التصوير لمفردات الكلمة الريفية ونطقها كما يجب، فرشحت ان تذاع بالتسجيلين وفعلاً تم ذلك غير ان التسجيل بصوت الملحن طالب هو الذي بقي مستمراً بأذاعته وبقي طالباً كما اراد ان يكون ملحناً لا مطرباً حسب رغبته رغم مقدرته الصوتية وادائه الممي

التصقت الحان هذا الفنان المبدع بصوت جميل متكامل الطبقات الصوتية وحجره ذهبية متمرسه شجية معبرة، ذلك صوت المطرب الكبير الفنان ياس خضر الذي الهم طالب خيالاً اوسع ومجالاً أكبر في نهج تطور الاغنية العراقية التي لايمكن ان نقول عنها اغنية ريفية ولا اغنية مدنية لكون جديد لاذك ولا هذا انفرد به هذا الملحن العملاق.

لم يكن طالب بعيداً عن الريف الذي ولد وترى ونشأ فيه فأغنية (يلشائل العودين... خضر فرد عود) للمطرب الريفي الكبير ناصر حكيم رحمه

الله والتي غناها بالثوب الجديد الذي البسها طالب القره غولي واداهها الصوت الساحر الريفي المطرب حسين نعمة تجعلك تدخل في جمال الريف وعلى شواطئ أهواره بسمكه وأطياره فهذا الملحن العملاق قادر على أن يأتي بريف جديد محاك بالقبص والبردي والمؤطر بالحجر والمرمر.

اعادتني هذه الاغنية بذكرات اغنية ريفية جميلة للمطرب ناصر حكيم، في صيف عام ١٩٤٨ الا وهي (بشبابي وارد افديج عيني السمرة - موش بحاللي) حيث جمعتنا جلسة جميلة مع بعض رموز شيوخ عشائر مدينة سوق الشيوخ بلد الشعر والغناء الريفي في ضيافة شقيقي الاكبر المربي السيد عبد المنعم حسين لتناول طعام الغداء عندما كنا نسكن محلة الكريمت على شاطئ بجلة الخير، وقد رغبوا الاستماع الى مطرب مدينتهم الحبيبة سوق الشيوخ ناصر حكيم فاحضرته وكنت حينها عازفاً ماهراً لأنتي العود والقانون وملحناً وشاعراً فغنى ناصر حكيم هذه الاغنية على شكل الاغاني البسيطة وهنا بعد ان توقف بعض الوقت وقد اعجبني كلامها والطور اي النغمة الريفية، قمت بصياغتها بشكل جديد على نفس الطور فكان لها صدى كبيراً في اسماع الناس وحبهم لها بحيث كلما حضر ناصر حكيم للاذاعة لموعد بث اغنياته من الاذاعة، احتشد الجمهور امام باب الاذاعة ليطلبوا من المطرب ناصر حكيم اغنية (بشبابي وارد افديج عيني السمرة) وكنت ملزماً في مرافقته في الحفلات التي يغني فيها هذه الاغنية لان لحنه الاول سيطر عليه فعلي ان اكون معه في الاذاعة لاغني الاغنية امام الفرقة الموسيقية ليحفظها من جديد.

من هنا علمت ان المجال الفني الذي دخلته أنا كملحن هو نفس المجال والتخيلات التي دخلها الفنان الكبير طالب القره غولي ونفس المجال

دخله كل من المبدعين الرواد الملحنين اوائل القرن العشرين وامتداد لهم، امثال الملا عثمان الموصللي شاعراً وملحناً ومنشداً للموشحات الدينية، محمد القبانجي المبدع في المقام العراقي الذي اضاف الى المقامات العراقية مقامات اخرى وهو مطرب وشاعر وملحن، مسعود العمارتلي شاعراً وملحن ومغني، حضيري ابو عزيز شاعر وملحن ومغني، صالح وداود الكويتي ملحنان عراقيان، عزيز علي شاعر وملحن ومبدع في الملوحات الاجتماعية والسياسية، سالم حسين شاعراً وملحناً وعازفاً وباحثاً، سمير بغدادي ملحناً ومؤدياً، يحيى حمدي ملحناً ومؤدياً، رضا علي ملحناً ومطرباً، جميل سليم ملحناً ومغنياً، احمد الخليل ملحناً ومغنياً، عباس جميل ملحناً ومغنياً، طالب القره غولي ملحناً ومغنياً وغيرهم من المبدعين.

فناننا الراحل طالب القره غولي هو احد الملحنين المبدعين والذي اعطى من موهبته الفذة في التلحين ولاكثر من ثلاثة عقود وما رسخ في الذاكرة والوجدان العراقي، وكان بإمكانه ان يستمر في انتاجه وبغزارة لو كانت توفرت له الامكانيات المادية لتسجيل الحانه، لكن ضاعت وذهبت تلك الفرص الثمينة التي كانت ستزيد اعجاباً وتطوراً للموسيقى والغناء في العراق، ولا نقول شيئاً اكثر من ذلك في تقصير الدعم للمبدعين في جميع المجالات الثقافية في العراق الحبيب قديماً وحديثاً بل يكاد يكون مفقوداً، بينما باقي الشعوب تعرفت ثقافياً وموسيقياً وتحفز مبدعيها الى العمل والاجتهاد والعطاء المستمر، لانها تترك تماماً ان المبدعون هم وقود حضارتها، انا لله وانا اليه راجعون ورحم الله طالب القره غولي واسكنه فسيح جناته واله أهله وذويه ومحبي فنه الصبر والسلوان.

عن موقع الموسيقار سالم حسين

"الاعتراف الأخير" لطالب القره غولي



نبيل الحيدري

جمهورنا لا يحترم المطرب دائماً وبرغم ان القرغولي بدا شهرته طالباً مغنياً في ثانوية الناصرية التي خرجت جوقة من المبدعين والفنانين والمتقنين العراقيين، الا انه يقول: قد لا تصدقون، اني لم أكن أحب صوتي! وإخترت أن أصير ملحناً لأنني لم أحب مهنة "المطرب" إذ أن جمهورنا يستسهل النيل من الأخير مع الأسف. طالب القرغولي يؤكد انه ريفي الهوى وليس مديني، وبالتالي فان ذائقته معجونة بتلك البيئة الاولى وما اعتاد على سماعه من أصوات المغنين الكبار مثل داخل حسن وناصر حكيم وحضيري ابو عزيز، ويكشف أبو شوقي بأنه عندما يعجب بنص شعري يلازمه مدة طويلة قبل ان يلحنه، الى الحد الذي يصبح جزء منه الى حد انه يلحن نفسه بنفسه/ كما يقول القرغولي. ياس خضر أفضل من غنى لي و يقر أبو شوقي في حديث الذكريات والمواقف والشغافية بان جميع الذين غنوا ألقاه من المطربين العراقيين والعرب كانوا رائعين، ولكن أفضل من غنى له هو ياس خضر، الذي كان يستجيب لملاحظات وإرشادات القرغولي.

في هذا الحوار الذي لم يُنشر سابقاً، نتعرف على محطات وذكريات وإسرار في حياة وتجربة الفنان الموسيقار طالب القرغولي الذي رحل مؤخراً تاركاً بصمة مهمة في الأغنية العراقية، تمثل مدرسة لحنية عراقية بجدارة. غنيت أمام الملك فيصل الثاني: للناصرية تحدثت القرغولي. وهو على فراش المرض. عن حرصه على اختيار الكلمة المعبرة والنص الشعري المميز لألقانه، لكونه يعتبر نفسه شاعراً أيضاً، لذا فقد تعامل مع كبار الشعراء العراقيين وعلى رأسهم مظفر النواب وزامل سعيد فتاح وعريان السيد خلف وكاظم الركابي. وكشف طالب القرغولي (أبو شوقي) عن انه غنى أمام الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٢ أغنية "للناصرية" بعد أبوديه خاصة بمناسبة تنويجه، عندما زار الأخير المدينة وأقام له المتصرف حفلة بالمناسبة.

فضاء شعبي.. طالب القره غولي بين اللحن والكلمة والصوت

المجتمعية كما في عزاز عدنه او من هويها هو يئنه الناس كلها) و(جذاب دوليني الوكت بمحبتك جذاب) و(البنفسج.. ياطعم باليلة من ليل البنفسج يا حلم).. والتي تركت اثرها في ذات المتلقي لقربها من احساسه ودواخله وتتفردا بالفاظها وبريق صوت مؤديها ونبرة لحنها..

طالب القره غولي بطراوة روحه واكتناز فكره منح الاغنية فضاء اوسع وحقوق لها الانفتاح على الافاق تزامنا وفترة السبعينيات من القرن العشرين التي تعد الفترة الذهبية لازدهار الثقافة العراقية ومنها الفنون بكل اشكالها وتفصيلها عموماً.. والاغنية خصوصاً اذ تجددت على ايدي شعراء وملحنين ومطربين نقلوها من المناطقية (ريفية/بغدادية..) الى طابع جامع ما بين الريف والمدينة..

طالب القره غولي اعطى من موهبته اللحنية عبر عدد من العقود ظلت راسخة في الذاكرة الجمعية والوجدان.. كونه يتميز بقدرة ادائية صوتية ولحنية.. وفكر واع لانتقاء النص والخبرة الصوتية التي تناسبه فكان صوت فاضل عواد وياس خضر وسعدون جابر وحسين نعمة وفؤاد سالم وسعدون جابر.. الذين الهموه خيالات اوسع في تطوير اللحن المقترن بكلمات الاغنية التي تجاوزت محليتها واخترقت الافاق.. بانغامها اللحنية ومفرداتها التي صارت راسخة في اذهان ووجدان المتلقي.. طالب القرغولي في الحانه (حاسبيك جذاب وتكبر فرحتي بعيني وروحي والبنفسج وراجعين وعزاز وحنيت الك بالحلم ويا طير الشوك وتعال الحبك...).. روح نابضة وحس شفيف ونبرة جاذبة...



على ايديهم الاغنية محليتها (ريفية ومدنية وو) وانتقلوا بها الى مجال القصيدة الغنائية.. ومع اطلالة السبعينيات كان ظهور الملحن طالب القره غولي الذي نقل الاغنية من مسارها الروتيني (ابونية وموال وبسته) وعالمه الحزين المؤطر لها.. الى قربها من الوجدان الانساني والمساس بالحياة بصياغة لحنية واعية من خلال انتقاء النص المؤثر بالفاظه المقترنة بالنوتة الجاذبة والواقع.. واختيار افضل طرائق ادائها.. بحيث تتلائم والذائقة

التطور والتغيرات الحضارية كانت الحصيصة اطلاق لفضة موسيقى عراقية انتجها عدد من الملحنين الذين رقدوا الاغنية باجمال الالحن وارقي الكلمات المقترنة بشعرائها الذين حملوا الوطن على اكتافهم ككوكب حمزة وطالب غالي وطارق الشبلي وطالب القره غولي.. الذي اقترن بشعراء الكلمة المكتنزة بهاجس الانسان وهمومه (مظفر النواب عريان السيد خلف وعزيز السماوي وناظم السماوي وزامل سعيد فتاح وطارق ياسين).. والذين تجاوزت

علوان سلمان

يعد الغناء احد العلامات الحضارية الدالة على المعرفة.. كونه يرتبط بالموسيقى كلغة انسانية من جهة واقتنائها بالمكان من جهة اخرى.. فقلوا موسيقى رافدينية.. اضافة الى ازدهار الالات الموسيقية في بلاد سومر كالقيثارة السومرية شاهدا الى يوما هذا.. ومع حركة

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

هيئة التحرير

غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

طالب القره غولي ولون البنفسج

علي عبد الامير



هو الذي قدم درساً في لحن غناه بنفسه، وعجز عن أدائه أفضل الاصوات، لحن "هذاك أنا وهذاك انت" وفيه تلوينات نغمية معاصرة على روحية الغناء العراقي الاصلية، ناهيك عن نص يزاوج ببراعة بين الموضوعي (صورة الوطن والمدينة والنهر) والذاتي (مشاعر رقيقة يمكن ان تكون موجهة للحبيب).



ومن ذلك درس الالفت الذي قدمه في سبعينيات القرن الماضي، ويمكن ان يرقى الى مرتبة الاغنية "الوطنية" الاجمل في تاريخ العراق المعاصر، الى لحنه الذي نسجه باتقان مبهر في اغنية "حاسبينك"، التي قدمها بطريقة روحية نادرة، المطرب فاضل عواد. اغنية حب ترقى بالمخاطب الى ارفع مستويات السمو الروحي، ولانها كانت كذلك، لم نتردد "الفضائية العراقية" ايام النظام العراقي السابق في مسخ غزلها الرقيق وحولته عبر مونتاج صوري الى عمل يتغنى به "القائد الفذ" صدام حسين.

صحيح ان ابن المدينة الجنوبية، الناصرية التي منحت العراق المعاصر اسما كبيرا في الشعر والغناء والسياسة ايضا، لم ينج من فخ "اغنية الحرب" التي سادت بحسب "التعبئة الاعلامية" الرسمية في سنوات الحرب العراقية الايرانية، الا انه لم يتخل عن الجانب "الفني" في الحانها لصالح "التحريضي"، وصارت "اهزجته" المعنونة "منصورة يا بغداد"، تعويذة وطنية، كما ان الحانها التي ادائها مطربون عرب بينهم وردة الجزائرية، وديع الصافي، وسميرة سعيد، ظلت قادرة على التأثير العميق بالمشاعر حد اليوم.

كانت البداية الحقيقية للمولود في ناحية النضر القريبة من الناصرية العام ١٩٣٩، عبر اغنية "يا خوخ يا زردالي" (أي الخوخ غير الناضج) التي كتبها شاعر كان يقضي عقوبة في سجن بسبب نشاطه الشيوعي، وجاءه خبر زواج حبيبته برجل آخر، لتصبح الاغنية فور تسجيلها اذاعيا في اواخر ستينيات القرن الماضي، علامة على غناء عراقي فيه نفحة التجديد اكثر من واضحة.

"غير شكل" مع قصائد مظفر النواب

عمله المميز التالي كان عبر تلحين قصائد مختارة من شعر مظفر النواب، بالدرجة العراقية، وتحديد في اغنيتين شكلتا ملامح عميقة في تجربة صاحب "الغناء الدامع"، المطرب ياس خضر، لاسيما انه بدأ تقليديا وفجأ، حتى عبر الى ضفة اخرى صحية القره غولي الذي صاغ "روحي" ثم "البنفسج"، اعتمادا على شعر النواب المغربي بالرموز والاشارات لكنه الحافل بنبض جنوبي عراقي مجروح وشجي دثما. ومع اشتغال القره غولي على شعر النواب، انهدت الاغنية العراقية مرحلة تقليدية باشكالها المتعددة: غناء المدينة، الريف والبادية وحتى المقام البغدادي، لتدخل مرحلة التجديد، حد ان تأثير الراحل في الغناء العراقي، جعل



طين الفرات نبضه الروحي بل دمه، ولمن كانت قصائد الجنوب واحزانه واشواقه، نسيجا روحيا؟ فكان اشبه بعاصفة اودعت حجرة بجدران كونكريتية، حتى ان كانت تأكل ذاتها وتصل حد الخفوت.

من دمشق، احس بعلامات مبكرة للموت تسري في جسده، عوضا عن الحياة التي كان يلخصها طين الفرات، ليجد عبر المشاركة في حفل فني للجالية العراقية والعربية في السويد، فرصة للعلاج من "السكري" وتأثيراته المدمرة، ليخضع هناك الى عملية بتر جزء من ساقه، ليعود الى وطنه بروح تكلى وساق مقطوعة، كأنه كان يسابق المصير، وليحقق رغبتة في "موت آمن" بين أهله وعائلته ومحبيه وزملائه، فنعشه كان على اكتاف محبين من طراز خاص، ليس اقلهم ابن مدينته المطرب الرقيق حسين نعمة.

موت الموسيقار طالب القره غولي، وفي اهمال رسمي واجتماعي، يأتي في تتابع مربع لمسلسل موت المبدعين العراقيين دون أي اشارة تقدير يستحقونها، وهنا يوجز الشاعر مروان عادل حمزة يا الله، مفارقة عراقية بامتياز: الحياة تتألق للقتلة والفاستدين، وتتفتح كبنز عميقة لمنتجي الجمال ومنهم صاحب اغنية "عزاز": "هذا وتر آخر... ارجوك يارب.. ألسنت تقول انك قادر على كل شيء!! أمنا بأجالك.. لكنت تقول انك تقدم وتؤخر بها كما تشاء... يارب نحن بأمس الحاجة اليهم الآن!! يارب لديك الكثير من السفلة والقتلة!! فاقضي وقتك بهم واعطنا مهلة نتنفس بها احبتنا.. ارجوك يارب!!"

كثيرا من المهتمين نقدا وبحثا، يصفون تأثير صاحب "تكبر فرحتي" بأنه التأثير ذاته الذي تركه الراحل بليغ حمدي في الغناء المصري المعاصر، وهذا يبدو صحيحا الى حد بعيد لاسيما في الحانها التي تحفل بمقدمات موسيقية مطولة لم تعرفها الاغنية العراقية من قبل، فضلا عن التركيب الموسيقي المكتوب لتنفذه الاوركسترا الكبيرة.

مرارات الوطن... الغربية

مع تجربة العقوبات الدولية المفروضة على العراق بعد غزوه الكويت، العام ١٩٩٠، بدأت مرحلة من الهدم الاجتماعي والفكري والثقافي، فتراجعت علامات الجديدة، لصالح تجارب هجينة في النتاج الفكري والفني والادبي، رعاها عدي صدام حسين، الذي سيطر على اكثر من مؤسسة صحافية وثقافية وفنية، فلم يعد والحال كهذه، امام علامات جديدة في الفنون والموسيقى بخاصة، سوى الانكفاء والتراجع، ومنها طالب القره غولي الذي لم يستسلم، وظل يقدم الحانها لمن يقدر حقها، فغنى له مطربون مكرسون مثل سعدون جابر، مثلما غامر برعاية اصوات شابة، كما مع صوت المطربة سينا.

بعد العام ٢٠٠٣، ومع سيادة قيم التحريم للفنون، وفي مقدمتها الموسيقى والغناء، ومع تراجع قيم الدولة المدنية وهدم مؤسساتها، وجد القره غولي في دمشق، شأنه شأن كثيرين من اهل الفنون والثقافة العراقيين، ملاذا ممكنا، لكن أي ملاذ ممكن لمن كان

عندما فكك القره غولي خوارزميات النواب

عادل مكي

كان لا بد من العثور على مسّ التعويذة البابلية وإكسير الحياة السومري المتختر بالآبديّة النوابية، فالخلود داخل خوارزمية اللحن العظيم لا يحقق مبتغاه الفطري وحسّه اللاشعوري المدجن بأنغام الوجد وترانيم التشظي، إلا من خلال الرموز المشفرة والمحسوسة بين سطور الكلمات الملتهية، فكيف إذا كانت هنا (نوابية) الشعر محطته التي طالما حلم بالوصول إليها.

فقد استطاع هذا الفتى الجنوبي، ابن مدينة الناصرية، ملهمة المبدعين، الفنان الذي يكرر التفوق بثقة على كل مقاييس الغناء واللحن العراقيين الشجيين بلون محدث وجديد، وبروح عراقية خالصة لم تكن مألوفة قبله، فهو بحق معجزة لحنية وصوتية عذبة ينتقل فيها بسلاسة الكبار الوثائق الخطي، استطاع هذا الفتى ان يفك خوارزميات الكبير مظفر النواب ويتمشى بين سلالم الموسيقى بما يمتلكه من طاقة مخزونة خادمة، توجهها براكين الوجد المترام، ولا عجب.. فهو امتداد لجيل متوارث من خزّين هائل استمد معظم أحرانه المترعة من مراثيات كربلاء الحسين، ككينونة لأوجاعه الثكلي، وكواكب لأنبيئه الذي ما فارق مخياله.

ببعض مما ذكر، فكك طالب القره غولي خوارزميات وأحجيات قصائد مظفر النواب حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، مستكشفاً فيها مكامن الوجد الخفي، وصورها تصويراً لحنياً سلب به الألباب، وفتح بالغازها جزر الوجد الدفين الكامن في أرواحنا من قرون خلت، واستكشف لنا جواهر اللؤلؤ والمرجان المختبئة تحت طيات الاختباء القسري، التي كانت ممنوعة ومحرمة من قبل السلطة القمعية بأجهزتها الأمنية المتعاقبة. لكن الغريب في الأمر هو أن تلك الأغاني قد سجلها القره غولي في ستوديوهات الإذاعة الرسمية، دون أن يسأله أحد عنها، وهذا سر يحسب لعبقرية القره غولي، الذي مررها وسجلها لتنتشر كثار الشوق في حطب الوجد، دون أن يلاحظها مقص الرقيب أو المنع، لأنها ببساطة شديدة كانت تحفاً فنية غاية في الجمال، سحرت وأسكتت أرواه وأذان المخبر السري، والمتابع الأمني الذي أصابه الانبهار وإن لم يعلن ذلك، فسكت وتغاضى، لفرط الشجن الكامن فيها.

من أشياء تشبه تسابيح السحرة، صنع القره غولي أيقونات لحنية، وأمسك بلجام الكلمات رغم صهيلها المدوي، فطوعها كصائغ كظماوي تعامل مع قطع نادرة من حلي ذهبية بميزان الذهب، مع نوابيات تلك القصائد المسرحية، فجاءت (حبل اسحن كليبي سحن) بداية الثورة الغنائية في الأغنية العراقية الكبرى التي أحدثت انقلاباً، أو أنها قلبت الطاولة على كل ماهو سائد من الرتابة والتكرار، مترجماً بذلك الثراء البلاغي والشاعرية الفذة في كلمات مظفر النواب، الذي خرج عن المألوف والنمطية والجمود، متحرراً من الأوزان والقافية، ومتمرداً في ذات الوقت على الحاضنة الشعرية، لأن شعر النواب قد تحطى قواعد المنظومة وبفراسته، أدخل القره غولي إيقاعات مميزة قريبة



باجتماعهما تشعر أن هناك كيمياء أثرية ربطت بينهما، إذ أن شعر النواب امتاز بالخروج عن الميوعة والفجاجة بكلمات عذبة، لذلك فقد فتحت ألحان طالب القره غولي

من روح العامة، مما كانت العرب تستعمله في كلامها القديم، شعراً ونثراً وسجعاً، كانت سبباً في جذب انتباه طالب القره غولي للنواب، رغم أنهما لم يلتقيا أبداً، لكن

لشعر مظفر النواب أفاقاً جديدة ومديات مشبعة بالوجد، فكلما دندن عود القره غولي بأغاني النواب، التي لم تكتب أساساً كقصائد أغان، وإنما كتبت كقصائد نوابية خالصة، ملحنة، تشعر بأنك تبحر ضد تيار ما، لأن كلمة النواب المغنسة توجع، لأنها مشبعة بأسى وألم ممدد لوجع فقد عشبة الخلود.

لذا ليس بمستغرب، وأنت تسمع جمال أنين كلمات (حبل اسحن كليبي سحن وغركني بالهم والحزن)، وتارة أخرى، (مريته بيكم حمد واحنه بقطار الليل، واسمعنه دك الكهوه، وشمينه ريحة هيل).

لقد فتح النواب مع القره غولي كل أبواب الإبداع الموصدة، عبر غزارة المعنى وحلاوة اللحن التطريبي الذي غمر الأرواح المتعبة بشي من النشوة تجلت بالروح إلى مضاف (النيرفانا).

لقد تربع القره غولي على عرش الكمال اللحني بعد أن اشبع روحه من تلك القصائد التي اكتفى منها بعيون القلادة، وكأنه يقول "حققت ماكنت أصبو إليه، فقد أمسكت بلجام (عين الـلادة)، لأهم ما كتب النواب، تلك التجربة الأعمق والأهم في تاريخ الغناء العراقي، وبعقرية لحنية إبداعية قلما تتكرر. ولكي لا يكرر نفسه أخذ يملئ ما يريده بتجارب أخرى ثرية، تقترب -إلى حد ما- من مساحة ما نهل منها ونجح، وذلك بتعاونه مع زامل سعيد فتاح وكاظم اسماعيل الكاطع وآخرين. فقد كان طالب القره غولي ذكياً جداً عندما لجأ إلى ساحة ومنطقة النواب، كونها حالة متفردة وجديدة، فهو كتب الشعر بطريفة (الحسجة الجنوبية)، وهو ذلك الفتى الكظماوي من عائلة النواب العريقة التي سكنت مدينة الكاظمية في بغداد، الذي تنقل ربحاً من الزمن بين أهوار الجنوب وأهلها الكرام، مطارداً ومتخفياً عن أعين أناب السلطة الحاكمة بتهمة الانتماء المعارض والثوري ضد الأنظمة الفاشية والدكتاتورية المتلاحقة التي كانت تبحث عنه في كل مكان. عاش النواب هناك بين أعواد القصب، وكتب بلغتهم وبلكنتهم التي تشعرك برقة أمواج الهور التي تنساب (بهيدة)، ليكتب أجمل وأرق وأعذب القصائد الشعبية العراقية، التي أصبحت مناراً وقاموساً للشعر والجمال. وحتى عندما سألو النواب مرة عن طالب القره غولي كان جوابه فرحاً به وبتجربته الناجحة الرصينة، لأن طالباً، وبجسب المعطيات اللحنية، قد رسخ مفهوماً وأسلوباً جديدين يضاهايان سنباطيات السنباطي وموجيات الموجي وبلاغة بليغ حمدي في صياغة المقدمات الموسيقية الطويلة والتحول من مقام إلى آخر، وتعدد الإيقاعات في اللحن الواحد للأغنية العراقية، التي جدد فيها ببراعة من خلال الحنجرة الشجية للفنان ياس خضر، هذا الصوت الذي (هذبته وشذبته) بعد أن كان صوتاً رقيقاً نائحاً باكياً فقط، وقدمه بروائع لحنية غنائية لا تنسى.

لذلك، وفي خضم تلك المعطيات والإرث الفذ، سنحتاج بلا شك إلى مئة سنة مقبلة.. أقل أو أكثر، لكي نحظى بمثل هذا التلاقح الإبداعي الغريب والانصهار العجيب بين شعر قد يشبه شعر النواب، وبين ألحان قد تشبه ألحان القره غولي، وبين أصوات غنائية شجية كصوت ياس خضر، لنزّن بها معادلة صنع الجمال والكمال الفني، ولا شك في أن الأزمنة حبلت بالمفاجآت برغم صعوبتها وندرتها في هذا الزمان.

"21 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

